نفير البعث

للشاعر يوسف الخطيب

اليومَ يا تاريخُ قف لحظةً
لحظةَ إجلالٍ على النيلِ
وانظر مدى عينيك هل تجتلي
سوى مدىً بالنورِ مغسولِ
تهادت الروئيا على رحبه
عرائساً خُضْرَ الأكاليلِ
يسحبن أذيال السنا موكباً
في الأفقِ عطريَّ المناديلِ
وألف قيثار على رسلها
يحملن أشواقَ العناديلِ
في رحلة الصيف على بيدرٍ
خصبِ الجنى من كرَمِ النيلِ
اليومَ يا تاريخُ قف لحظةً
لحظةَ إجلال على الوادي
اليومَ في موكب أفراحنا
يبتهل الزمّار والحادي
وترقص الأنغام مزهوّةً
على الصباح المشرق النادي
أفراحنا إمّا عجاجُ الوغى
في الحرب ، او موّالُ حصّادِ
ونحن يا تاريخ من أمة
تآصرت في عُروة الضاد
من ذروة الأهرام حتى الربى الخضـ
ـرِ عـلى آفاق بغداد

اليوم يا تاريخ في أمتي
عزمٌ على الأحداث جبارُ
تحطّم القيد الذي شدّنا
واشتعلت في كهفنا النارُ
ما عاد بعد اليوم يقتادنا
سوط ، وسجّان وأسوار
اطلالُ ذاك العهد فانظر لها
كيف على الاقدام تنهار
كيف تنادينا على سحقها
كيف انثنينا وهي آثار
وانطلقت أفواجنا في الضحى
موْتورةً يحفزها الثار
من ألفِ عامٍ والدجى خيمة
احياؤنا فيها وموتانا
كأنما الشمسُ على دربها
تعانق الأرض ، وتنسانا
وربما يحزنها ان ترى
بعد ثياب العز أكفانا
بعد الجباه السمرِ من امتي
نوماً على الذلّ وطُغيانا
حتى خرجنا من قبور الدجى
نؤثّل المجد الذي كانا
لمّا نفيرُ البعث دوّى على
أجداثنا الغُبْرِ وناداناـ
وراح في الأفقِ يدق النفيرْ
ينشرُ للساعة اهلَ القبورْ
وهاتفٌ بين العيونِ الظماءْ
للنورِ ، ما زال يُعيد النداءْ :
« على ضفاف النيل نَبعُ الحياهْ
يغسل بالعزة سُمرَ الجباهْ »
« فيا صديقي في عناقِ الصباحْ
مَنْ أنتَ ، مِنْ أيِّ مَهبِّ الرياحْ »

أنا لاجئٌ يا مصرُ أضربُ في الحياةِ بلا دليلْ
أحيا من الماضي على حُلمٍ سرابيٍّ جميلْ
وأظلُّ أضرب في متاهِ الشوقِ أبحث عن سبيلْ
كيف المَعادُ ، متى سألقي في الديار عصا الرحيل
أنا لاجئٌ يا مصر أمسح في الثرى جرحي الطليل
داري هنالك خلف اسوار الهزيمة والعويل
.. داري ، أحنُّ لدربها المعروشِ والفيءِ الظليل
لرفيفِ داليـة ، وأغصـان مُعطَّرة تميـل
داري هنالك في الهوان تئنُّ من قدمِ الدخيل
ما عهدُها بسواي في الصبحِ الملوّن والأصيل
يسقي قرنفلها ، ويعصر كرمَها الداني الذليل
.. هيهات ، مَنْ للأجيءِ المحزونِ بالأملِ النبيلْ
أترى مضت ايامه الخضرِ العذاب ولن تؤول
لا الدارُ ، لا السمار ، لا النايُ الشجيّ ولا الحقول
لا غابةُ الليمون ، لا النزهات ، لا درب النخيل
كل الرؤى يا ليل ؟ كل الذكريات إلى ذبول ؟
واحسرتا ، لم يبقَ ينبضُ في السراج سوى القليل
حتى حسبتُ بقيتي جنحت على سمتِ الأفول
.. وهناك ايقظني دويّ الثأرِ من خدرِ الذهول
ورأيت نـار البعث تلتهم الدجى حتى يزول
لمن النفيرُ ، لمنْ تُدقّ على ملاعبنا الطبول
لمن البيارقُ والجحافل والأسنَّة والخيـــــول
للثأرِ ، للغدِ ، للعروبةِ تهتكُ الليل الطويل
وعلى هشيم الظالم ترفع صرحها الزاهي الأثيل
. يا مصر ألفُ تحيةٍ في مَشرقِ البعثِ الجليل

ما بين هذا اليوم والأمسِ
رأيتني أبعث من رمسي
يومٌ بطوليٌّ ، ويومٌ حزينْ
وبين يومين حييت القرونْ

* * *

وظل في الأفق يدق النفير
ينشر للساعة أهـل القبور
وهاتف بين العيون الظماء
للنور ، ما زال يعيد النداء
« على ضفاف النيل نبع الحياه
يغسل بالعزة سمر الجباه »
« فيا صديقي في عناق الصباح
من انت من اي مهب الرياح ؟»

انا في مساء العمر أحمل ذكرياتي الباقيات
عن رافدِ النيلِ العظيم يصبُّ في بحر الحياةْ
فلاحةٌ ضَحكَ المَشيبُ على ذُؤابتها ، وفات .
فات الشبابُ ، وفي جنازته الرؤى والأمنيات
وحبيبُ أيامِ الصِّبا « أسوانُ » تذكر كيف مات
في الفجر شدّ صليبَهُ المركوز أعداءُ الحيـاة
هو لم يمت ، ما زال يختبئُ القلوبَ الداميات
يُذكي بسالتها ، ويملأها على الجُلّى ثباتْ
كم حدّثَ السُّمار .. أقنانُ المزارعِ والرعاةْ :
في كل أمسيةٍ يلوحُ لهم على رحب الفلاة
شبحٌ تنزُّ على مناكبه الجراحُ الفـــائرات.
يُلقي يديه إلى الرياح ، الى النجوم الذاهلات
ويظل ينشد لحنه ويعيد أغنية الحـــــــياة
للموت ، للأقنان ، للأرضِ الكئيبة ، للرُّفاة
« يا زارعي كرمَ الحياةِ وعاصريه إلى الطغاة »
« الفجرُ يُولد في الظلام ، وإنّ يومَ البعث آت »
.. هو لم يمت يوماً ، وظل يُعيد قصّتهُ الرواة
وانا التي ضحك المشيب على ذؤابتها ، وفات ..
فات الشباب ، وفي جنازته الرؤى والامنيـــات
سأعيش في الأطفالِ ، في كُحلِ العيون الطاهرات
سأعيشُ في ذكرى حبيبي والمغاوير الأبـاة
.. هو لم يمت ، ما زال ينبض في عروقي ذكريات
عن ملعب الاحلام ، عن درب الهوى والامسيات
والموسم النامي وغربانِ الشمّالِ الجائعـــــات
.. عن رافد النيل العظيم يصب في بحر الحياة

ما بين هذا اليوم والامس
رأيتني ابعث من رمسي
يوم بطولي ، ويوم حزين
وبين يومين حييت القرون

* * *

وظل في الافق يدق النفير
ينشر للساعة اهـل القبور
وهاتف بين العيون الظماء
للنور ، ما زال يعيد النداء
« على ضفاف النيل نبع الحياه
يغسل بالعزة سمر الجباه »
« فيا صديقي في عناق الصباح
من انت ، من اي مهب الرياح »

انا في قرارِ الليلِ أنسجُ ها هنا حُلمَ الضياءْ
حلم الغدِ الضّاحي يرفّ على جبـاه الأبرياءْ
.. لن تظمئي أرض البطولة والشهامة والابـــــــاء
لن تظمئي دار السلام ، والفَ لبيك الفداء
هذا وقودُ الصبحِ نصنع من لظى دمنا ذُكاء
كي تعبر الأجيال للغد دربها الحرّ المضـــــــاء
لا ترتضي الا العروبـة فوق موطنهـا سماء
او غيرَ صوتِ البعثِ يخفقُ في جحافلها لواء
ويَرُشّ ضوءَ الفجرِ في احداقها الغبر الظماء
مشدودة الأعناق للعلياء ، تهزأ بالفنـــــــاء
فاذا العراق يموجُ في دنيا المشاعل والحداء
يلوي عِنانَ الدهر في ساح البطولة كيف شاء
ما بين هذا اليوم والأمس
رأيتني أبعث من رمسي
يوم بطولي ، ويوم حزين
وبين يومين حييت القرون

* * *

وظل في الأفق يدق النفير
ينشر للساعة اهل القبور
وهاتف بين العيون الظماء
للنور ، ما زال يعيد النداء
« على ضفاف النيل نبع الحياه
يغسل باليعزة سمر الجباه »
« فيا صديقي في عناق الصباح
من انت ، من اي مهب الرياح »

انا في لواءِ البعثِ جنديٌّ على ساحِ الجزائرْ
وُخلقتُ يوم خُلقت مجنوناً الى الهيجاء ثائرْ
تعوي بناتُ الحربِ في جسدي مُخضّبةَ الأظافرْ
قلبي السلاحُ ، وتُغدقُ البرموكُ مُلءَ يديّ ذخائر
من لاهب الذكرى ، لو انّ على رُبى اليرموك ذاكر
انا يا نداء الثار اقسم لن ترعزعني المخاطر
بيني وبين الغاصبين دمٌ طليلُ الجرح فائر
من كلِّ بتراءِ اليدين ، وكلِّ شوهاء المحاجر
من كلِّ طفل لم يُحوّلْ مزقوه على الحناجر
ورموا به قِطَعاً لاسراب الجوارح والكواسر
انا يا نداء الثار من سلمى ، واقسم بالضفائر
سأظلُّ في احلام اطفال البغيّات العواهر
أقسى من النار التي وارتكِ عن هذي النواظر
.. سلمى ، وكانت طفلةً سمراء ناعمة الأظافر
ترعى الشياه هُنا إلى قُرب الحداول والبيادر
سلمى التي كانت هنا روحاً حنون الفيءُ طاهر
جمعوا لها في الليل آتوناً حقود القلب ساعر ..
.. لو كنت شلالاً .. لو انّي وابلٌ في السفح قاطر
وضممت جثتكِ الصغيرة وهي لاهبة الضفائر
هيهات أنسى النار ، إني لو نسيت النار كافر
جان دارك .. أيّةُ كذبة شوهاء تطلقها الحناجر
رُدُّوا على القديسة الشقراء حالكة الستائر
انا يا نداء الثأرِ أقسم لن ترعزعني المخاطر
بيني وبين الغاصبين دمٌ طليلُ الجرح فائر
يأبى الدمُ العربيُّ في الاهراسِ ان يعنو لواتر
ما بين هذا اليوم والامس
رأيتني ابعث من رمسي
يوم بطولي ويوم حزين
وبين يومين حييت القرون

* * *

— البقية على الصفحة ٧٥ —

ولا تعجب ايها القارئ فإن علي بابا إحدى أقاصيص ألف ليلة وليلة درة التراث العربي الخالدة قد أتت إلينا من أمريكا .. وليس هذا قولي بل قول السيد الفيتوري .. وليس بغريب ان نسمع غداً ان القاهرة أنشأهـا جورج واشنجطن وأن القنال أممهاايزانهاور !!

ونمضي مع السيد الفيتوري في حديثه العجيب .. يقول :

«وبقدر استفادتهم من السينما الاميركيةاستفادوا كذلك من قراءتهم لعناوين الأدب الواقعي العالمي :

بعض سردين بعلبة

ويبدو لي ان السيد الفيتوري لم يقرأ هذا المقطع الذي انتزع منه هذا البيت وليقرأ معي المقطع مرة ثانية .. لنرى مدى استفادة الشعراء بعناوين الأدب الواقعي العالمي :

كنت امضي ورفاقي في البكور
لقصور البكوات ، -
قبلما ينفض عصفور نعاسه .
حسرتي .. كنا بلون الميتين ..
كالدمى نصطف في أنواء طوبه ..
كالكلاب الضمر نستجدي الكناسه
بعض سردين بعلبة ،
وثمالات من اللحم بعظمه
وحبيبات من الرمان حمراء وحلوه ،
وبقايا من صنوف الطيبات .

ولعل السيد الفيتوري يقصد عنوان كتاب شتاينبك «شارع السردين المعلب» ولن اعلق على ذلك بشيء بل سأترك الأمر للقراء ليدركوا الفارق بين عنوان الكتاب والبيت الذي ذكرت ..

ويمضي السيد الفيتوري في حديثه الممتع .. « وفيهم كذلك من استفاد من مشاهدة ألعاب السيرك الايطالي ..

خلتها ادخل فيها بهلوان .. »

وهل نسى السيد الفيتوري سيرك الحلو الذي يتنقل في المدن والقرى ويجوب القطر من اقصاه الى اقصاه .. وهل نسى الأفراد الذين يحترفون هذا النوع من العمل .. ثم لماذا السيرك الايطالي بالذات .. وليس الأميركي او الروسي .. هل إيطاليا هي الوحيدة التي يوجد بها سيرك أم انه يريد ان يرينا سعة معرفته واطلاعه ؟..

واستفادوا ايضاً من احدث الاكتشافات العلمية :

نحن في المريخ رواد غزاه
كل شيء حولنا ظمآن يهفو للحياة .. »

ولم يفهم السيد الفيتوري المقصود من هذه الأبيات فكتب يقول :

« ولا أدري ماذا سيصنع صديقي نجيب فيما لو اثبت اكتشاف علمي آخر خطأ الاكتشاف الذي بين ايدينا ، فأكد أن كوكب « المريخ » أرض خضراء ذات ظل وماء » . وبعد فأن هذا كله شيء قليل .. وتلك الأعتر اضات التي اعترضها السيد الفيتوري على قصيدة شاعرنا نجيب سرور ما هي إلا انطباعات سريعة خرج بها الناقد من قراءته للقصيدة ..

ولست ادري ماذا كان يحدث لو ان السيد الفيتوري قد قرأ القصيدة برروية وامعان .. وقانا الله – والشعراء – شره .

القاهرة

عمر بديع

نفـير البعث

– تتمة المنشور على الصفحة ٦ –

•

وظل في الافق يدق النفير
ينشر للساعة- اهل القبور
وهاتف بين العيون الظماء
للنور ، ما زال يعيد النداء
من ها هنا تعبر اجيالنـا
مجنونة الشوق ، على وعدِ
منشورة الرايات لا تنثني
صاعدةً في سلم المجـــد
قابضة الكف على امرها
جبّارةً ، صاعقة الزند
من كل مغوارٍ على جفنه
سحرانِ من عزمٍ ومن وَقدِ
يصطرعُ الموتُ على دربه
ويغضبُ الهولُ فما يُجدي
أراد ان يحيا فما قُدرةٌ
تلوي به عن شرَفِ القصد

* * *

اليوم يا تاريخ قف لحظةً
لحظة إجلالٍ على النيلِ
وانظر مدى عينيك هل تجتلي
سوى مدىً بالنور مغسولِ ؟

يوسف الخطيب